الانتحال في لسان العرب لابن منظور: نحِل جسمُه، ونَحَل، ينَحَل، وينَحُل نُحولاً، فهو ناحِل: ذهَب من مرض أَو سفَر والفتح أَفصح...ونحله القول ينحله نحلا: نسبه إليه...ويقال نُحِل الشاعر قصيدة: إذا نسبت غليه وهي من قيل غيره... قال الأَعشى في الانتحال:

فكيف أنا وانتحال القوافي*** بعد المشيب كفى ذاك عارا؟".[1]

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "نَحَلَ: النون والحاء واللام كلماتٌ ثلاث: الأولى تدلُّ على دِقّةٍ وهُزال والأخرى على عطاء، والثالثة على ادِّعاء. الأولى نَحَل جِسُمه نُحولاً فهو ناحل، إذا دقَّ، وأنْحلَه الهمُّ. والنَّواحل: السُّيوف التي رقت ظباتها من كثرة الضرب بها. والثانية: نحلته كذا، أي أعطيته، والاسم النحل. قال أبو بكر سمي الشيء المعطى النحلان. ويقولون: النحل: أن تعطي شيئا بلا استعواض".[2]

وَجاء في معجم المصطلحات، الانتحال: "هو أن يأْخُذَ الشَّاعرُ كلامَ غَيْرِه، بعدَ عِلْمِه بِنِسْبَتِهِ له بلفْظِهِ كُلِّه ومن غَيْرِ تغييرٍ لنظْمِه، أو أن يأْخُذ المعنى، وتبدل الكلمات كلها أو بعضها بما يرادفها". والنحل هو "أن ينسب الكاتب إلى نفسه شعرا أو نثرا ليس له".[3]

وقد حاول القدماء جاهدين أن ينقوا الشعر الجاهلي من المزيف بمقاييس كثيرة. وقد تعاقبت أجيال من الرواة ونقلت كتب التاريخ أخبارهم ومنهجهم في نقل الشعر من البوادي والقرى لمراكز التدوين ومنهم: أبو عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة المعروف بحماد الراوية، وخلف الأحمر، والأصمعي، وأبي عبيدة، والمفضل الضبي، وابن هشام.[4]

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مج 12، ص: 649.، 651.

[2]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص : 402.

[3]– إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006م، 1427هـ، ص: 363.

[4]– ينظر: عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، ص: 63.

1/ الانتحال من وجهة نظر ابن سلام الجمحي:

أبرز نقاد اثار المسالة في كتابه (طبقات فحول الشعراء)، رغم ذيوع فكرة الانتحال في عصره، يقول طه أحمد إبراهيم: "يؤمن ابن سلام كما يؤمن غيره من العلماء بأن من الشعر الجاهلي ما هو مصنوع. وتلك فكرة ذاعت قبل ابن سلام، وعند غير ابن سلام من معاصريه، ولكن ابن سلام يعرضها فيحسن العرض، ويبرهن عليها فيجيد، ويتلمس لها الأسباب المبرهنة، ويطبقها على من يطبقها عليهم من الشعراء الجاهليين".[1] وقد رد المسألة إلى عاملين:

1/ **عامل القبائل** التي كانت تتزيد في شعرها لتتزيد في مناقبها. يقول: "لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار؛ فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار".[2] وتعقيب محمد بن سلام عليه بقوله: "فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار؛ راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير".[3]

ومن القبائل التي قامت بذلك قريش.

2/ **عامل الرواة الوضاعين**، ويقسمهم ابن سلام إلى طائفتين: طائفة كانت تحسن نظم الشعر وصوغه، فتضيف ما تنظمه إلى الجاهليين، ومثَّل لها بحماد، وخلف الأحمر، وطائفة لم تكن تحسن النظم ولا الاحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلي، ولكنها كانت تحمل كل غثاء

---

[1]– محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هيل مع دراسة للمؤلف والكتاب للمرحوم طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م، ص: 16. ينظر: محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني، مصر، دار المدني، جدة.

[2]– ابن سلام، طبقات الشعراء، ص : 40.

[3]– المصدر نفسه، ص: 34.

منه وكل زيف، وهم رواة الأخبار والسير والقصص، من مثل ابن إسحاق راوي السيرة النبوية، إذ كان يدخل الأشعار في سيرته دون تحرز أو تحفظ.[1]

وقد خلص ابن سلام بعد دراسته إلى أن معضلة الانتحال لا يتصدى لها إلا الناقد المتخصص، إذ "ليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وغنما عضل بهم ان يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من باديتهم فيشكل ذلك بعض الإشكال".[2]

ويقدم هذا الناقد الأدلة التي تثبت رأيه وهي:

1/ الدليل العقلي: ومفاده أن الشعر الفصيح حديث الميلاد وأن العرب ما طولت القصائد إلا في عهود متأخرة، إذ كانت قبلها تقول المقطعة والرجز وقصار الأبيات وأما القصائد فلم تقصد إلا في عهد المهلهل أخو كليب في حرب البسوس. يقول ابن سلام: "ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قُصّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتُبّع...".[3] ويقول: "ولم يكن للعرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة وإنما قصدت القصائد وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف".[4]

2/ الدليل الديني:

الشعر المنسوب لعاد ضعيف فلا بديع فيه ولا حسن، كما أن آيات القرآن تقول عكس ذلك، حيث يخبر الله تعالى بالعذاب الذي وقع عليه فأهلكم جميعا، كما في قوله: "وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51) سورة النجم. وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8) سورة الحاقة. أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي

---

[1]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 38، 39، 40.

[2]– المصدر نفسه، ص: 39.

[3] المصدر نفسه، ص: 35.

[4]– المصدر نفسه، ص ص: 35، 38.

أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9)" سورة إبراهيم.[1]

إضافة إلى أن لغة عاد غير لغة العرب التي تم التكلم بها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما اثبته قول ابي عمرو بن العلاء "وما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا".[2]

وبهذه الأدلة وقف ابن سلام على القضية موقف المتبصر، ما أكسب دراسته الاحترام عند الدارسين قديما وحديثا[3]. يقول عثمان موافي في ذلك: "فالمتأمل منحى ابن سلام في دراسة هذه الظاهرة، يلحظ أن سلك منحى علميا يقوم على تعليل الظاهر اعتمادا على منهج وصفي تحليلي، وبذلك يكون بحق قد خطا خطوة مهمة نحو علاج الداء بإثارة موضعه وكشف أسبابه كما بسط نظرية بإمكانها معالجته وهذا "يكشف لنا عن سعة أفقه النقدي، وإلمامه بالتراث الشعري القديم".[4]

2/ الانتحال من وجهة نظر الجاحظ:

للجاحظ موقفه من أهم قضية متعلقة بالشعر، وهي مسألة صحة نسبه لقائليه، خاصة مع تأخر تدوينه. ولقد "هال الجاحظ ما رآه من نحل الشعر الجاهلي والأعرابي، فوقف عندها دارسا ثم وجد أن الخطر على الشعر لا يأتي من جاهل مولد، بل إن الخطر كامن في العلماء الرواة الذين خبروا الحياة العربية وعرفوا دقائق لغتهم وأساليب شعرائهم ولهجات قبائلهم، مثل هؤلاء يعتبرون خبراء في التزييف على الناس، ...".[5]

---

[1]– المصدر نفسه، ص : 28.

[2]– المصدر نفسه، ص: 29.

[3]– ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي، دار الجيل، بيروت، 1414هـ، 1992م، ص: 99. يحي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 1407هـ، 1986م، ص: 158.

[4]– عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، ص: 72.

[5]– محمد بن عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان عمرو بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1407هـ، 1987م، ص: 41.

وكما صنع ابن سلام قبله، ردّ الجاحظ الانتحال إلى الرواة، وربطه بهم لعدم اتكائهم على قاعدة سميكة في النقل، ولإتباعهم أهواءهم باستثناء خلف الأحمر فقد وجده أمينا ملما بالشعر، لذلك وضع شروطا للرواية على رأسها الأمانة والتبحر بالشعر، واعتمد في حديثه عن المنتحل من الشعر على مبدأ شهادة الرواة، وعلى الشعر في حد ذاته في حال تفاوته. ثم يحدد عمر الشعر فيقول: "وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرئ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة.. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له . إلى أن جاء الإسلام . خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام".[1]

وبذلك يكون الجاحظ قد أكمل منهج ابن سلام في التمييز بين الشعر المنحول والشعر الصحيح، وأضاف إلى أدلة سابقه بعض الأدلة الجديدة منها الدليل الداخلي الذي استقاه من النص الشعري نفسه وهو يوازن بين معنى البيت وبين ما كان معروفا في الجاهلية وغير معروف، ثم الحكم على الشعر إذا كان منحولا أو غير منحول.[2]

[1]– الجاحظ، الحيوان. تحقيق محمد عبد السلام هارون. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ج1، ص: 74.

[2]– ينظر: محمد صايل حمدان، عبد المعطي نمر موسى، معاذ السرطاوي، قضايا النقد القديم، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1411هـ، 1990م، ص: 19.